

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

السند البيداغوجي لمقياس: اللسانيات البنيوية

مستوى: السداسي الأول (ماستر)

إعداد الدكتورة: بن عزوز حليلة

الرتبة: أستاذة محاضرة قسم "ب"

العام الجامعي: 2016-2017

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

عناوين المحاضرات:

المحاضرة الأولى: ما قبل البنيوية (الجزء الأول)

المحاضرة الثانية: ما قبل البنيوية (الجزء الثاني)

المحاضرة الثالثة: في سياق الحديث عن البنيوية

المحاضرة الرابعة: المنهج البنيوي في علاقته مع العلوم الصورية والتجريبية

المحاضرة الخامسة: المنهج البنيوي في علاقته مع الفلسفة

المحاضرة السادسة: المنهج البنيوي في علاقته مع الألسنية

المحاضرة السابعة: فاردينان دي سوسيور والتنظير للسانيات الحديثة

المحاضرة الثامنة: فاردينان دي سوسيور والبنيوية

المحاضرة التاسعة: أهم مبادئ المنهج البنيوي

المحاضرة العاشرة: أهم طرائق التحليل في المنهج البنيوي

محاضرات على الخط: "اللسانيات النبوية"

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى: ما قبل النبوية (الجزء الأول)

تزامنا مع مطلع القرن السابع عشر، بزغ نور اتجاه جديد يطالب بهيمنة العقل بحكم أنّ قوى الطبيعة كانت بحاجة إلى ذلك. ومن هذا المنطلق، كان لزاما على الإنسان أن يحكّم عقله لتحقيق هذه الغاية "يعمل على تحقيقها من خلال انسجامه مع العقل دائما"¹

ولعلّ هذا ما يتفق مع أفكار علماء النهضة وفقا لمتطلبات آليات وضوابط محددة بعيدا عن نقاشات المذاهب الدينية والفلسفية ولقد جاء "ديكارت" (1596-1650) ليؤكد أهمية العقل² منطلقا من تواجد مبادئ وحقائق بسيطة يدركها العقل وحده عن طريق الحدس ومكنته من جانب آخر على تفهّم حقائق أخرى أكثر تعقيدا بواسطة الاستنتاج والذي يعدّ أبرز أدوات العقل ليصوغ مقدمة عولمتنا الحديثة ولكنّ العقل لدى "ديكارت" كان بحاجة إلى ضمانة و قد وجدها في إيمانه بالله³ و جاء "باسكال" فيما بعد باكتشافه للتنوعات التي يمتاز بها الفكر العلمي فاتّحدت عقليته بجوهر مفهوم العقل الديكارتي لتبرز نزعة الوصول بالعقلية إلى سلطة النظام على يد "لايبنتز" (1646-1716)⁴ وواصل الاتجاه الذي يرمي إلى سيطرة العقل المنطقي المنظم مسيرته على يد فلاسفة آخرين منهم "مالبرانش"⁵ الذي رسم لمعاصريه أخطار العقل الملحد وتلاه "سبينوزا" والذي اعتبره "تودوروف" مؤسس النقد الحديث⁶ وبرز دور فلاسفة آخرين منهم "بيار بايل" و"فونتيل"، هذا الأخير الذي مثّل انتقالا حيا بين عصر العقل وعصر النقد⁷ لتبدأ أزمة الوجدان الأوروبي بالتبلور (الرغبة في إبقاء مكانة الإنسان ضمن مملكة العقل) ممّا كانت حافزا لإعادة النظر بجميع القيم السياسية والدينية في أواخر القرن السابع عشر.

محاضرات على الخط: "اللسانيات النبوية"

ثم يأتي دور فلاسفة التنوير "ج. ب. فيكو" (1668-1744) و"منتيسكو" واللذان كانا مهتمين بالمكونات الثقافية للنظام الاجتماعي أكثر من اهتمامهما ببنيتيه "وقد نشأ مثل هذا الاهتمام من مساعيهم الرامية إلى تفكيك الفلسفة الأخلاقية والسياسية إلى عناصر علمية غير ميتافيزيقية وعقلية في المقام الأول"⁸

ونتيجة للتنوير "تحررت الفلسفة السياسية والأخلاقية من قيود اللاهوت وعلوم الإلهيات وتحولت إلى علوم أمبريقية"⁹ وتتواصل النزعة العقلية في تفاقمها حتى تبلغ "هيوم" الذي خلق نقدا حراً عميقاً لدرجة أنه خلق قيماً جديدة في ميدان فلسفة العقل¹⁰ وجاء بعد ذلك "كانت" ليفيد من علم "نيوتن" ودقة "هيوم" وليرسخ العقلية العلمية ويعطيها مكانتها المناسبة ويقود الفلسفة الأوروبية من عصر النقد إلى عصر المذاهب¹¹ ويسطع فيما بعد دور فلاسفة آخرين نادوا بمثالية "كانت" ذو التربية الدينية المحافظة نذكر منهم "هيغل" (1770-1831) و "نيتشه" و "غوتيه" (1749-1832) و "أوغست كونت" (1798-1857) الذي ظهرت على يده (الإبستيمولوجيا الوضعية) ويعدّ "أوغست كونت" ابن عصر التنوير الذي جرى على تقليد و ثرات فلاسفة التقدم في أواخر القرن الثامن عشر¹² وبكتابه (دروس في الفلسفة الوضعية) أثار عددا لا يستهان به من المشكلات المتعلقة بنظرية المعرفة والتي بفضلها وجد تحديد لمعنى العلم بل و تحديد لعلاقة الفلسفة بالعلوم ككلّ كما أنّ "كونت" يقدم تصنيفاً للعلوم¹³ يمكن أن نعدّه متقدماً على ما سبقه من تصنيفات لكونه يقدم مبادئ مستقاة من دراسة تاريخ العلوم.

وبما أنّ الفلسفة الوضعية نشأت في فرنسا في القرن التاسع عشر في عصر يزامن الاضطرابات المجتمعية والسياسية في أعقاب الثورة الفرنسية الكبرى، فقد هيمن اتجاهان بارزان آنذاك، أحدهما يناصر النظام إلاّ أنّه يحارب كلّ جديد وثانيهما يناصر التقدم إلاّ أنّه يدعو إلى الفوضى والخروج على الأنظمة السائدة و كان من بين الهواجس الكبرى لدى

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

"أوغست كونت" أن يتوصّل إلى تآلف و انسجام بين فكرتي النظام والتقدم في إطار نموذج أو اتجاه واحد لا يحمل في أحشائه عناصر التناحر بينهما¹⁴

و هاهنا، يجب أن لا ننكر أنّ القرن التاسع عشر شهد على الصعيد المعرفي درجة فائقة من تطوّر العلوم الرياضية والفيزيائية فضلا عن بدايات النجاح بالنسبة لعلوم الحياة ممّا يعني أنّ المعرفة العلمية شملت بنجاح كلّ الظواهر الكونية ماعدا الظواهر الإنسانية.

ومن هذا المنطلق بالذات، تولّد ذلك الهاجس في نظر "كونت" بحتمية ضرورة إقامة علم خاص بالمجتمع يضارع العلوم في دقتها وانضباطها¹⁵

وانطلاقا من هذه الأرضية، حاول "كلود ليفي شتراوس" في وقت لاحق أن يسعى بالعلوم الاجتماعية إلى الهدف ذاته منطلقا من إنجازات علم اللّغة في مطلع القرن العشرين فقد كان يحسد علماء اللغة على نجاحهم في الانتقال بعملهم إلى مصافّ العلوم الرياضية والفيزيائية فتمخّض عمله الجادّ و الدؤوب عن انبثاق المنهج البنيوي¹⁶ والذي تحوّل بدوره فيما بعد إلى منظومة شبه فلسفية بولوجها مجالات متعددة في مسار الفكر والثقافة وعلم النفس والسينما والأزياء والموضة وغيرها.

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

المحاضرة الثانية: ما قبل البنيوية (الجزء الثاني)

إنّ نظرية المعرفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرية "كانت" التي تقضي بنقد العقل، ذلك أنّ "كانت" أراد أن يطرح الفلسفة في ميدانها النظري خارج الأخلاق والجمال كما أراد أن يؤكد على مشكلة مسألة المعرفة التي تقابل في التاريخ الفلسفي مشكل الوجود ومشكل القيم وجميع الأفكار والقضايا التي عرضناها من ذي قبل بخصوص العقل تعدّ إرهابات لهذه النظرية التي تحوّلت إلى إبستيمولوجيا بعد أن مرّت بما يسمى بـ "فلسفة العلوم"¹⁷ والتي شهدت تطوّرات بالغة الأهمية على يد فلاسفة كبار في مقدمتهم "أوغست كونت" لتصل في العصر الحديث إلى تكاملها واستقرارها مع "غاستون باشلار"¹⁸ و"توماس كون"¹⁹

وبناء على كلّ ما سلف ذكره، يمكننا أن نقرّ بأنّ مكانة العقل والعلم في الفلسفات الحديثة هي ما ساهمت في انبثاق المنهج البنيوي إلى جانب عوامل أخرى سعت إلى الحثّ عليه والمساهمة في انبثاقه من خارج مضمار الفلسفة²⁰ ومن أبرز تلك العوامل ظهور التجريب في الإبداع الأدبي.

إنّ للتجريب اللغوي بواعث كثيرة ربّما كان في مستهلّها النزعة الإنسانية نحو التغير لأنّه عندما يستقرّ نظام أو نمط معين من أنماط الحياة أو الفكر أو الثقافة لأمد طويل فإنّه يخلق حالة من الملل سرعان ما تفصح عن نفسها من خلال حداثة معينة قد تتعرّض لشتّى أنواع العداء من لدن التيار المحافظ ريثما تتمكّن من ترسيخ أقدامها في مكان خاص لتغدو حقيقة واقعة لها أنصار ومؤيّدون حتّى لو كانت غير مفهومة في بدايتها²¹

لقد سعى التجريب اللغوي إلى الخلاص من قيود سيطرة التقليد فارتكز على مبادئ الفلاسفة المثاليين الجدد أمثال "برادلي و بيركسون و أرنست كاسيرر" فأكد أنّ الإنسان وواقعه وعوالمه وكلّ ما يتعلّق به إنّما هو نشاط خاص وثمرّة واضحة لنشاطاته الفكرية الخاصة²² فأشار إلى أهمية النزعة العلمية وكان بذلك يشكّل رافداً من روافد البنيوية²³ التي

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

استندت في دعائها على النزعة العلمية. وظهرت النزعة الرومانسية فيما بعد لتخلق ثورة على الاتجاهات الكلاسيكية المستقرة آنذاك لتتوسّع بعد ذلك إلى تيارات أدبية عديدة تولّدت عنها مدارس أخرى منها الرمزية والسريالية وغيرها. ونستطيع القول هاهنا أنّ هذه المذاهب ساهمت بإشارة الانتباه إلى الأدب كونه شكلا قبل كلّ شيء وهي في حدّ ذاتها روافد غير مباشرة للبنوية وفي الوقت نفسه رافدا مباشرا من روافد الشكلية التي تعتبر بدورها أساسا هامّا انطلق منه مسار المنهج البنيوي بعد محاضرات فاردينان دي سوسيور²⁴

وحقيقة الأمر أنّ الشكلانية الروسية تعدّ من أبرز الجذور التي ساهمت في انبثاق المنهج البنيوي من زاوية غير مباشرة فقد استندت الشكلية في مراحلها الأولى على المذهب الرمزي وعلى مدى اهتمام الرمزية بالشكل بوصفه أداة حية "فالشكل واسطة إيصال مستقلة معبرة عن نفسها قادرة على توسيع نطاق اللّغة إلى أبعد من الإطار اليومي للمعنى عن طريق الإيقاع والتداعي والإيحاء"²⁵ و يعتقد "تودوروف" أنّ "بول فاليري" و "مارسيل بروست" هما أسلاف البنيويين²⁶ إلا أنّ عددا لا يستهان به من الباحثين يكاد يجمع على أنّ دو سوسيور هو الأب الروحي للبنوية²⁷ وإن لم يستخدم لفظة (بنية) بتاتا وإنما استخدم البديل (النسق/النظام) و لربّما كانت لثنائياته اللّغوية الأهمّية البالغة في انبثاق البنيوية²⁸

ومما لا شكّ فيه أنّ أعمال دي سوسيور والشكلانيين الروس أعقبت ثورة شبه شاملة توسّعت من أوروبا إلى أمريكا مستأثرة باهتمام كبير في النّصف الأوّل من القرن العشرين تحديدا مع فترة ما بين الحربين العالميتين²⁹ ولا سيما "رومان جاكسون" (1896-1982) و"يان موكاروفسكي" الذي طرح مفهوم البنية لأول مرة عام 1923 في براغ لتتشكّل نسقا قائما من العلاقات على "الوحدة الداخلية للكّل من خلال العلاقات المتبادلة بين أجزائه و لا يقوم هذا النسق على العلاقات المتوافقة فحسب بل يقوم على التناقض والتواتر والصراع"³⁰ وهذا كلّه فضلا عن البنيوية في الأدب من خلال جهود أبرز روادها أمثال "رولان بارت" و"تودوروف" و"غودلير" وغيرهم.

المحاضرة الثالثة: في سياق الحديث عن البنيوية

صحيح أنّ البنيوية وجدت دعامتها العلمية استنادا على اللسانيات التي أسّسها فاردينان دي سوسيور (1857-1913) لكننا سواء نظرنا إليها كتيّار فكري ضمن تيارات الفكر الغربي المعاصر أو بوصفها منهجا جديدا في العلوم الإنسانية فإنّها ظهرت وتأسّست في مجال الأنتروبولوجيا قبل أن تمتدّ لتشمل مختلف الفروع المعرفية الإنسانية المختلفة³¹

إنّ الدراسات البنيوية في مجملها أصبحت في الوقت الرّاهن تشكّل جزءا من تاريخ الفكر المعاصر إلّا أنّها لا تزال تثير جدلا هائلا وبالخصوص بعد التطوّرات التي عرفتھا التطبيقات البنيوية في ظلّ مختلف المجالات المعرفية المتعدّدة تزامنا مع ظهور ما يسمى بـ "ما بعد البنيوية" أو بـ "البنيوية الجديدة وفلسفات ما بعد الحداثة" وكلّها تمثّل روافد اتجاهات تستلهم أسئلتها النظرية ممّا طرحته البنيوية سواء كان ذلك في ظلّ التحوّل الذي عرفتھ البنيوية الأدبية من بنية النص إلى سيميائية النص أو البنيوية الماركسية أو الأركيولوجية أو التفكيكية وكلّها فلسفات تجد قاعدتها في البنيوية وخاصة في ثلاثة محاور أساسية هي: تجديد العلوم الإنسانية والاهتمام باللغة ونقد العقل والتاريخ وإن كان ما يزال من يواصل البحث البنيوي بالطريقة التي أسّسها ووظّفها "كلود ليفي شتراوس"³²

ولعلّ حالة الغموض التي اكتنفها مفهوم البنيوية أدّى إلى إشارة جدل وتساؤلات كبيرة حول ماهيتها، ففريق صرّح معلنا أنّ البنيوية "ليست بأيّ حال من الأحوال فلسفة و إنّما منهج للبحث العلمي"³³ وفريق ثان أصرّ على اعتبارها فلسفة ربّما قادت إلى إلغاء الذات وموت الإنسان³⁴ و لربما "فكرا بلا مفكرين"³⁵ ما أدّى إلى دخولها صراعات مع الفلسفات الأخرى و فريق ثالث بادر بالوقوف موقفا وسطا معلنا أنّ البنيوية في أساسها نظرية في العلم تؤكّد أهمية النموذج أو البناء في كلّ معرفة علمية وتجعل للعلاقات الداخلية والنسق الباطن قيمة كبرى في اكتساب أي علم³⁶

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

والبنيوية في رأي جان بياجي منهج قبل أن تكون مذهباً ذلك لأنها أسلوب فني متخصص وتقتضي التزامات عقلية معينة و تؤمن بالتدرج... لقد كان للمنهج الذي تمثله البنيوية تاريخ طويل يشكّل جزءاً من تاريخ العلوم غير أن سماتها لم تكتشف إلا في وقت متأخر³⁷

وحقيقية الأمر أن البنيوية لم تظهر فجأة في باريس وإنما بلغت درجة ذروتها في نهاية الستينيات من حيث أنها اتجاه فكري وفلسفي على أن هذا الانتشار السريع الذي جعل منها مذهباً فلسفياً شاملاً ما يقرب من عشر سنوات لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة جد مهمة مفادها أن البنيوية لم تصبح كذلك إلا "لأن المختصين قد تنبّهوا في ذلك الوقت بالذات إلى الإمكانيات الخصبة التي تكمن في فكرة البناء أمّا الفكرة في ذاتها أو مبدأ التفكير من خلال بناءات فقد كان معروفاً قبل ذلك بوقت طويل"³⁸

البنيوية إذا من حيث هي منهج قديمة العهد أما من حيث هي مذهب فلسفي شامل فهي ظاهرة حديثة في الفكر المعاصر وغدت بذلك مذهباً في العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية مع أن منشأها علم اللغة الحديث³⁹ وفي كتابه عن البنيوية، يقول جان ماري أوزياس "يمكن للفكر البنيوي أن يحدّد بكامله في نتاج كلود ليفي شتراوس"

لقد انبثقت البنيوية بوتيرة مباشرة بعد قيام "شتراوس" بتطبيق النموذج اللغوي على الأنثروبولوجيا⁴⁰ فقد اعترف "كلود ليفي شتراوس" بأنّ الجيولوجيا والماركسية والتحليل النفسي شكّلت أبرز دعائم تفكيره⁴¹ حتى أنه كان يحسد علماء اللغة على انتقالهم بمجال عملهم إلى مصافّ الرياضيات والفيزياء من حيث الدقة والانضباط العلمي فيقول معترفاً "إننا نجد أنفسنا إزاء علماء اللغة في وضع حرج، فطوال سنوات متعددة كنا نشغل معهم جنباً إلى جنب وفجأة لم يعودوا معنا وإنما انتقلوا إلى الجانب الآخر الذي يفصل العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية والاجتماعية والذي ظلّ الناس يعتقدون باستحالة عبوره وهكذا أخذ اللغويون

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

يشتغلون بتلك الطريقة المنضبطة التي تعودنا أن نعتزف باستسلام أنّها وقف على العلوم الطبيعية وحدها ممّا وُلد في نفوسنا قدرا من الأسى وكثيرا من الحسد⁴²

وبهذا، يكون صدى "شتراوس" خير معبر عن البنيوية بأفكاره التي أثرت في تأصيل البنيوية كلّما دعت الضرورة إلى ذلك ولعلّ أبرز ما قام به "كلود ليفي شتراوس" هو سحبه لمفهوم التزامن من علم اللّغة محاولا تطبيقه على الأنتروبولوجيا من خلال أسبقية اللّاوعي- إذ يشترك فيه الإنسان البدائي مع الإنسان المعاصر- وفي هذا تشترك بنيوية "شتراوس" مع "فرويد" وإن كان "فرويد" يدفع باللاوعي نحو الجنس ويدفعه "شتراوس" نحو المجتمع⁴³ فقد تعلّم شتراوس من ماركس أنّ الوعي يخدع⁴⁴ وتعلّم من "فرويد" أنّه حتّى في حالة التعبير الأكثر اعتباطية واللامعقولة من النشاط الذهني يمكن أن تحلّ رموزها و أن تأخذ معنى⁴⁵

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

المحاضرة الرابعة: المنهج البنيوي في علاقته مع العلوم الصورية والتجريبية

أولاً: في الرياضيات

كثير منّا لا ينكر أنّ العلاقة التي تربط بين الرياضيات والفلسفة والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية علاقة قديمة قدم التاريخ "فلقد بنى الفلاسفة ومنذ القدم أنظمتهم الفلسفية مستلهمين في ذلك الأنساق الرياضية"⁴⁶ كما أنّ تاريخ ظهور أول كتاب يعتمد على الطريقة الرياضية هو كتاب "محاولات في نظرية الاقتصاد" لـ: "كورنو" عام 1838 و يعدّ أول كتاب في الاقتصاد النظري كتب بلغة التحليل الرياضي⁴⁷

وفي سياق الحديث عن العلاقة القائمة بين البنيوية والرياضيات إذا ما نظرنا إلى فكرة البنية ذاتها، فيمكننا أن نقرّ بأنّ " فكرة البنية هي بالأساس مفهوم رياضي تكوّن في إطار نظرية المجموعات"⁴⁸

ومن الوجهة التاريخية، فإننا نلمح أنّ المفاهيم الأكثر قرابة من البنيوية هي مفاهيم "المجموعة" أو "الفريق" أو "الزمرة" والمعروف أنّ "البنية الأكثر قدما هي بنية الفريق التي تمّ اكتشافها بواسطة غالوا والتي غزت رياضيات القرن العشرين"⁴⁹ وتبرز المساهمة الكبرى للرياضيات في تطوير مجال اللسانيات البنيوية في هذا المجال خاصة عند حلقة كوبنهاجن أو ما يعرف بنزعة الغلوسيماتيك التي يمثّلها "لويس هلمسلف" وكذلك النزعة التوليدية التحويلية التي يمثّلها نعوم تشومسكي ولعلّ المساهمة الكبرى التي كانت تسعى لإلحاق الرياضيات بفكرة البنية هي مساهمة مدرسة بورباكي ذلك لأنّ الرياضيات التقليدية كانت تتألف من فصول غير متجانسة كالجبر و نظرية الأعداد والتحليل والهندسة وحساب الاحتمالات والتفاضل والتكامل...

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

وبما أنّ بنية الفريق استطاعت أن تطبّق على العناصر الأكثر شمولاً وليس على العمليات الجبرية فقط، فقد وجدت مجموعة البورباكي نفسها مضطرة إلى تعميم بحث البنية حسب مبدأ مطابق في التجريد ألا وهو مبدأ البنية.

وبهذا الصدد، ميّز فريق مجموعة البورباكي بين ثلاثة أنواع من البنى سمّوها بالبنيات الأم أو البنيات الأساسية نذكرها على التوالي:

1 -البنيات الجبرية

2 بنيات الترتيب

3 بنيات طوبولوجية

وعلى أساس هذه البنيات الأم أو البنيات الأساسية، غدا موضوع الرياضيات منبتقا في دراسة البنيات الرياضية "فالرياضيات علم مهمّته تصنيف جميع البنيات الممكنة- وكلمة بنية مستعملة هنا بمعنى يختلف بدون شكّ عن المعنى الذي يفهمه منها عامّة الناس، يجب النظر إلى هذه الكلمة من خلال دلالتها الواسعة بحيث تصبح قادرة على أن تشمل تقريبا كلّ شكل من أشكال الانتظام يمكن إدراكه بالفكر⁵⁰

و بذلك، يرتبط مفهوم البنية في الرياضيات أساسا بمفهوم الشكل الذي يمثّل تنظيما منطقيا يتمّ إدراكه عن طريق العقل.

وفي الحديث عن العلاقة التي تربط الرياضيات بالبنيوية في المجال التطبيقي، نخصّ بالذكر ميدان تحليل بنى القرابة. وجاء هذا واضحا في كتاب "كلود ليفي شتراوس" (البنى الأولية للقرابة) مستندا فيه على النماذج الرياضية أين يبرز موضّحا تلك العلاقة التي تربط المنهج البنيوي بالرياضيات والتي يمكن أن نحصرها في نقطتين أساسيتين:

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 1 المنهج البنيوي كالرياضيات والذي يركّز على الصورية والشكلية في دراسته للظواهر
- 2 توافق الرياضيات والبنيوية بدراسة العلاقة لا الكينونة " فالأطروحة المركزية للبنيوية هي توكيد أسبقية العلاقة على الكينونة وألوية الكلّ على الجزء. فالعنصر لا معنى له ولا قوام إلاّ بعقدة العلاقات المكونة له ولا سبيل إلى تعريف الوحدات إلاّ بعلاقاتها فهي أشكال لا جوهر" ⁵¹

ثانيا: في الفيزياء والبيولوجيا

ترتبط البنيوية بالفيزياء ارتباطا وثيقا في مفهوم السببية بوجه خاص فالسببية في نطاق الفيزياء "صرح نظري وليست شيئا معطى إمبيريقيا" ⁵²

إنّ الميزة الأساسية للسببية في إطارها الفيزيائي ترتبط ارتباطا مباشرا بمفهوم البنية في نطاق المجال البنيوي ذلك أنّ البنية تتشكّل نمطا من العقلانية الباطنية للأشياء لأنّها ذات طبيعة عقلية لا شعورية كما أنّ البيولوجيا في اهتمامها بالعضو الحي كثيرا ما تهتمّ بقضية الضبط الذاتي باعتبارها قائمة على ضبط عناصرها بشكل ذاتي.

وعلى الصعيد البيولوجي، فإنّ "البنية في المجال البيولوجي تستند إلى مفهوم المجموعات، فالبنية بهذا المعنى هي مجموعة العلاقات القائمة بين عناصر المجموعة" ⁵³

وبهذا، غدت البيولوجيا قائمة على دراسة العضو الحي بوصفه نسقا أو بنية في إطار نسق عامّ وهاهنا، من هذا المنطلق، ترسم العلاقة التي تربط المنهج البنيوي بمختلف العلوم الطبيعية ذلك أنّ الصورة لا تكتمل إلاّ باستفادة البنيوية من المجال التقني.

محاضرات على الخط: اللسانيات النبوية"

المحاضرة الخامسة: المنهج النبوي في علاقته مع الفلسفة

إنّ العلاقة التي تربط بين البنيوية والفلسفة علاقة وطيدة، فقد عرفت فرنسا منذ أوائل القرن التاسع عشر فلسفة "هنري برغسون" ووجودية "ج ب سارتر" كما برزت نزعة البنيوية من منتصف الخمسينيات وحتى نهاية الستينيات من هذا القرن وتحديدا من تاريخ نشر كتاب " ليفي شتراوس " (الأنثروبولوجية البنيوية) سنة 1958 حتى سطعت نور أشكال جديدة من الفلسفة الفرنسية سمّيت بأسماء متعددة كـ"فلسفة ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة وفلسفة التفكيك وفلسفة الاختلاف وفلسفة التأويل...".

لقد اعتنت فلسفة "هنري برغسون" بالجانب الروحي والذاتي للإنسان مركزة على روحانية الديمومة والحدس والحرية، تلك الروحانية التي كانت تتعارض مع التقدم العلمي والفكر التقني على السواء فـ "برغسون" يرى أنّ "الفلسفة الحقيقية هي الميتافيزيقا المتجهة نحو الجوهر الداخلي للوجود الحي وعلى أساس هذا الفهم للعالم بوصفه عملية إبداعية قامت نظرية المعرفة عند "برغسون" وأصبحت مقولة النشاط، الحدس، الحرية من أساسيات هذه النظرية⁵⁴ ويرى أيضا أنّه في "وسع الآلة أن تؤلّف استمرارا للديمومة الحيوية أنّه بفلسفته يجمد على الرغم من ذلك الفكر التقني"⁵⁵ وانطلاقا من هذا الاتجاه، طوّر "سارتر" مفاهيم الذاتية مع اهتمام مكثّف بقضايا الذات والشعور مستعملا الحجج الكلاسيكية القديمة في رفض السلوكية والماركسية غير محاول الاستفادة من الإنجازات العلمية في بعض أعماله النفسية) وأعني بذلك كتابه " موجز لنظرية الانفعال " أو كتابه " نقد العقل الجدلي " ولعلّ مهمة الدفاع عن قيم الفلسفة الذاتية ساهمت لفترة طويلة في تأخير منجزات الثورة التقنية العلمية.

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

لذلك، كان من الطبيعي أن تظهر البنيوية في حلّة قيم مخالفة ترفض الذاتية وتأسس لنظريات بناء على نتائج المنجزات العلمية والتقنية فإذا "كانت الفلسفة الفرنسية البرجوازية قد شقّت طريقها في العشرينيات و الثلاثينيات من هذا القرن على أساس نقد حادّ للعلم وعبرت عن نفسها في اتجاهات لاعقلانية وصوفية البرغسونية، الوجودية المسيحية، الروحية فلقد جرى في الأربعينيات و الخمسينيات تشكّل ملحوظ لفلسفة الإنسان ... أمّا في الستينيات فإنّ بعض الأفكار الوضعية وأشكال مختلفة (البنيوية) بدأت تظهر على الساحة الفرنسية⁵⁶ ففي غمار الحديث عن علاقة البنيوية بالفلسفة، يمكننا أن نقرّ أنّ المراحل الأساسية للفلسفة الفرنسية بدأت بالروحانية ثمّ بالوجودية وصولاً إلى الفلسفة العلمية التي عرفت أشكالاً مختلفة (الوضعية المنطقية) مع "جاك بوفراس" و "فنسون ديسمبر" والإبستيمولوجيا مع "باشلار" و "كونغليم" وأخيراً البنيوية مع أقطابها.

هذه الأنماط الفلسفية والتي يغلب عليها الطابع العلمي تؤكد أزمة الفلسفة الذاتية الفرنسية وعدم قدرتها على تناول القضايا العلمية والاجتماعية⁵⁷ ومن ضمن هذه الأشكال الفلسفية الجديدة القائمة على العلم تحتلّ البنيوية مكان الصدارة وذلك نظراً لتصديّها لكلّ الفلسفات الذاتية وتقديمها لبديل نظري جديد لذلك، فما من غرابة إن توسّعت البنيوية بشكل شاسع في الستينيات من القرن العشرين مرتبطة ببيروز أسماء أعلام وعناوين كتب ميّزت هذه الفترة، فظهور كتاب " ليفي شتراوس " (الفكر المتوحش) سنة 1962 جاء معلناً عن القطيعة مع كلّ الفلسفات الذاتية وعلى وجه الخصوص في تركيزه على نقد الفلسفة الوجودية ورسوبها أو فشلها في الجمع بينها وبين الماركسية في محاولة جاء فيها كتاب "سارتر" بعنوان "نقد العقل الجدلي" كما ظهرت في نفس الفترة الزمنية كتب أعلام البنيوية: كتاب الدكتور "لكان" وأعمال الفيلسوفين "لويس ألتوسير" (1918-1990) و " ميشيل فوكو " (1926-1984) هذا الأخير الذي أكد على قضيتين مهمتين أولهما تتعلّق بعلاقة البنيوية بالفلسفات المغايرة لها وثانيهما مسألة "القطيعة المعرفية" التي كانت البنيوية سبباً في إحداثها مع تلك الفلسفات باسم العلوم

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

الإنسانية. وفي سياق الحديث عن العلاقة التي تجمع بين البنيوية والإبستمولوجيا، يمكننا أن نحصرها في النقاط التالية:

- 1) تتدرج الإبستمولوجيا والبنيوية ضمن التيار العقلاني المعاصر.
- 2) تخلص الإبستمولوجيا والبنيوية من المشكلات التقليدية للفلسفة الفرنسية وتصديها للنزعات اللاعقلانية.
- 3) الاعتماد على المعرفة العلمية كأساس لحلّ المشكلات المعرفية والمنهجية للمعرفة الإنسانية.
- 4) تتفق الإبستمولوجيا والبنيوية في محاربتهما للنزعة الذاتية في الفلسفة.

وبالتالي، فإنّ البنيوية تعدّ منهجا ونظرية لا يمكن عزلها أو فصلها عن مجمل التطوّرات المعرفية في مجالات العلم الطبيعي والإنساني والفلسفي ولا تكمن أهمية البنيوية فقط في استيعابها لتلك التطورات وإنّما في الصيغة الجديدة التي قدمت بها تلك التطورات وإعادة تحويلها إلى منهج جديد في البحث العلمي مع نظرة فلسفية مميّزة.

محاضرات على الخط: اللسانيات النبوية"

المحاضرة السادسة: المنهج النبوي في علاقته مع الألسنية

بما أنّ الألسنية مثلت محورا أساسيا و أنموذجا علميا بالنسبة للنبوية، فلن نبالغ إن صرّحنا أنّ المنهج النبوي هو المنهج الألسني في حدّ ذاته نسبة إلى ما حقّقه اللسانيات الحديثة على يد العالم اللغوي السويسري "فردينان دي سوسيور" (1857-1913) من تقدّم علمي واضح سمح لها أن تحقّق الاستقلالية والموضوعية والقانون باعتبار اللسانيات النبوية أحد المدارس الهامة على صعيد الألسنية الحديثة وكون المنهج النبوي يعتمد أساسا على التحليل الألسني والفونولوجي في صورته النبوية.

وفي صدد الحديث عن الدراسات اللغوية، ما من أحد ينكر أنّها مرت بثلاثة مراحل حتى وصلت إلى مرحلتها التي أصبحت تعرف فيها بالمرحلة الألسنية.

ففي المرحلة الأولى، كان التركيز في مجمله على النحو حيث كانت تقوم على "وضع القواعد للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح من صيغ الكلام" ⁵⁸ تليها المرحلة الثانية التي ظهرت فيها الفيلولوجيا أو ما يعرف بـ"فقه اللغة" على يد "فريدريك أغسطس وولف" سنة 1977 وكانت مهمته آنذاك تتمثل في (ضبط النصوص وتأويلها والتعليق عليها)⁵⁹

وفي المرحلة الثالثة، ظهرت الدراسات التاريخية المقارنة أو ما يسمّى بالنحو المقارن مع "فرانز بوب" وذلك في كتابه "نظام السنسكريتية الصرفي وعلاقته باللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والألمانية" وذلك في سنة 1816.

وفي الأخير، سطع نور الألسنية مع "فردينان دي سوسيور" ليظهر جليا من خلال محاضراته "دروس في الألسنية العامة" سنة 1916 أي ما يوازي مرور قرن بأكمله على ظهور كتاب "فرانز بوب" (1858-1942).

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

وفي الحديث عن موضوع الألسنية، يرى " لويس هلمسلف" (1899-1965) أنّ "الألسنية الحقيقية تولي بنية اللغة جلّ اهتمامها وتساهم عبر تركيزها على البنية في تكوين العلوم الإنسانية، فالنظرية اللغوية بنظره تتوسل تحليل بنية اللغة عن طريق اللجوء إلى مبادئ شكلية"⁶⁰

وبالتالي، فإنّ الموضوع الجوهرى للألسنية يقتضى دراسة بنية اللغة باعتماد طرق رياضية ومنطق رياضي بحكم أنّ اللغة بنية قائمة بذاتها. ممّا يعني أنّ موضوع الدراسة الألسنية الحقيقي يقتضى دراسة اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته ذلك أنّ اللّغة أداة لكلّ ما هو دالّ وهي في الأساس تلك الأداة التي تحقّق عملية التواصل عبر نظام من الرموز أو هي واقع قائم بذاته لا تحتاج إلى أي عنصر خارجي لتحديدها. إنّها في الوقت نفسه "مجال للمعرفة تتمتع بقوانينها وبنياتها وشروط تواجدها"⁶¹

هذا وقد كان الفضل الكبير لعالم اللغة السويسري "فاردنان دي سوسيور" في كونه أوّل من دعا إلى دراسة المنهج الوصفي في اللسانيات من حيث هو بديل منهجي عن المنهج التاريخي في رصد الظاهرة اللسانية وكشف النقاب عن أنظمتها ووظيفتها وسرعان ما تطوّر هذا التفكير المنهجي على يد تلامذته و المتأثرين بأرائه النقدية ليخرج في أبهة حلّة جديدة اصطلح عليها تسمية "البنيوية".

والبنيوية في أصلها اللغوي مصطلح اشتقّ من كلمة *struere* بمعنى البناء، ولهذا المصطلح في اللغة الفرنسية *structure* دلالات متعددة منها النظام *ordre* والتركيب *constitution* والهيكل *organisation* والشكل *forme* إضافة إلى أنّ علوم أخرى غير اللسانيات/ علم اللّغة سارعت في استعمال هذا المصطلح كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والجيولوجيا والكيمياء والرياضيات والفلسفة وهذا ما يعني سيادة المنهج البنيوي على تفكير تلك المرحلة آنئذ .

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنوية"

وفي حقيقة الأمر أنّ المعنى الدقيق لكلمة structure لم يتمّ تحديده إلاّ في عام 1926 على يد مدرسة "براغ" - ذلك المصطلح الذي يفيد معنى الترتيب الداخلي للوحدات المكونة للنظام اللساني -

وترى النظرية البنوية التي بدأت عند "دي سوسيور" وازدهرت على يد كلّ من "ليونارد بلومفيلد" (1887-1949) و "لويس هلمسلف" أنّ دراسة المادة اللغوية تمّت ضمن إطار سلوكي يؤكّد حتمية فهم الفعل في كنف ضوء المثير stimulus والاستجابة response ممّا أفضى إلى أن يكون المنهج البنوي منهاجاً استقرائياً يبدأ أولاً بجمع المادة ليصل بعد ذلك إلى القاعدة أو النظرية.

محاضرات على الخط: اللسانيات البنوية

المحاضرة السابعة: فاردينان دي سوسيور والتنظير للسانيات الحديثة

لقد غدا من الشائع جدًا الإقرار بأنّ "فاردينان دي سوسيور" (1857-1913) هو أب اللسانيات الحديثة، فبفضله أصبحت دراسة اللغة تتمّ وفق منهج علمي وصفي أي يتوخّى الشمول والدقّة وعدم التناقض⁶² إذ لم تمتلك أو تكتسب اللسانيات الحديثة صفة العلمية إلاّ بعد أن أدرك علماء اللغة تلك الفروق الجوهرية بين الدراسة الوصفية للغة والدراسات التقليدية ولذلك، حرص "دو سوسيور" في بداية محاضراته التي غيّرت من طبيعة التفكير اللغوي على أن يوجز تاريخ الدراسات اللغوية في أوروبا منذ اليونان حتى عصره مرورًا بالعصور الوسطى وذلك قصد تبيين الفروق الجوهرية والمنهجية بين الدراسة الوصفية والمنهج الوصفي وموضوع علم اللغة وأصوله ومبادئه التي أخذ يبشر بها .

وقبل اللوج إلى الحديث عن أثر هذه الشخصية الفذة في مسار الدراسات الألسنية، كان لزاما علينا أن نقف وقفة تمحيصية على أهمّ المميّزات التي ميّزت أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والتي شكّلت بوادر وإرهاصات كانت بمثابة أرضية الانطلاق لعرض نظام البنية على غرار خلفية وآليات المنهج البنوي.

فقد شهد أواخر القرن التاسع عشر ظهور اتجاهات جديدة في التحليل العلمي للظواهر الاجتماعية وبخاصة الأحداث الاقتصادية وقد ارتكزت هذه الاتجاهات في غالبيتها على فكرة تقدّم المجتمع على الفرد وأسبقية المؤسسة من حيث الوجود على الشخص الذي هو وليد الاجتماع والعمران، فالإنسان الحقيقي لا وجود له إنّما الموجود هو الإنسانية على حدّ تعبير "أوغست كونت" (1798-1857) في كتابه (روح الإيجابية) وإنّ وجود الإنسان الاجتماعي هو الذي يسبب وعيه لا العكس- على حدّ قول "كارل ماركس"- ومن المهمّ جدًا هاهنا أن ننبه أنّ هذه الآراء الفلسفية تركت أثرا كبيرا ينمّ بفكرة تبعية العنصر إلى المؤسسة والذي لا تثبت له قيمته إلاّ من خلال علاقته بها في العلوم الإنسانية وعلى وجه الخصوص "اللسانيات" كما أنّ "إميل دوركايم" (1858-1917) نبّه اللغويين إلى فكرة "العامل

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

الاجتماعي" بعد أن كانوا غافلين عنها مهتمين فقط بتطور اللغة عبر الزمان والمكان-على مستوى الأفراد وتطور العقل البشري- متجاهلين ومتناسين تماما أن أولئك الأفراد يكونون وحدة شعورية أو وعيا جماعيا سابقا على وجود الفرد وبقا بعده.⁶³

وهذا الوعي الجماعي له قوة يفرضها على الفرد ولم يكن غريبا أن بدأ هذا التحول في الرؤية مع "أنطوان ماييه"(1886-1936) والذي صرح للمرة الأولى في تاريخ اللسانيات أن اللغة حدث اجتماعي بالدرجة الأولى، فكرّس هذه النزعة الاجتماعية وكان لدي سوسيور أن يتابع بنفسه بكلّ عناية واهتمام هذه الأفكار والآراء التي انعكست جلياً في تعريفه للغة.

وبدا واضحا أن كثيرا من اللغويين تأثروا بمفهوم المجموعة عند الرياضيين كما انتهى الكثير منهم على الأرجح إلى ضرورة الانطلاق من الدراسة الآتية للظاهرة اللسانية. ذلك أن المنهج التاريخي أضحي غير قادر على تحديد طبيعة الأشياء والظواهر خاصة وأن المنهج التاريخي يدرس اللغة دراسة طولية بمعنى أنه يتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة وأماكن متعدّدة ليرى ما أصابها من التطور محاولا الوقوف على سرّ هذا التطور وقوانينه المختلفة⁶⁴ وبمعنى آخر، فإنّ المنهج التاريخي يهتم بدراسة الظاهرة اللغوية كيف كانت في فترة زمنية سابقة وكيف أصبحت في حقبة زمنية لاحقة إلاّ أنّه لا يقدر على تبيان حقيقتها ولا صفاتها ولا آليات حركتها أو وظيفتها ف "أنطوان ماييه" كان أمله أن تستبدل المفاهيم القديمة بمفاهيم علمية دقيقة قريبة من روح العلم مصطلحا على تسميتها بـ "اللسانيات العامة" وفي ظلّ الحديث عن الظروف المتصلة بنظرية "دي سوسيور"، لا ننكر تلك الفكرة التي تزعمها ونادى بها عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي "وليام د. وتي" (1827-1894) والتي تقتضي وجود نظام باطني يمثل الصيغة الناتجة عن التركيب الذي يخالف مجموعة العناصر الجزئية- هذه الفكرة نفسها كانت أرضية انطلق منها "فاردنان دي سوسيور" ليعرض النظام (البنية) باعتباره كيانا مؤسسا على التناسق-

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

وبذلك، غدا "دي سوسيور" أول من حدّد معالم هذه الأفكار اللسانية الجديدة والذي أخرج للدارسين نظاما منسجم الأطراف والزوايا جعلهم وجعلنا نعجب كلّ العجب لمدى مكنته وقدرته على توضيح المفاهيم المتداخلة والتمثيل لها وعلى الرغم من قيمة ما خلفه هذا اللساني المبدع إلا أنّ آراءه لم تتل حظّ شهرتها إلاّ بعد سنة 1929 وذلك راجع لسببين رئيسيين ألا وهما:

(1) القراءات الأولى لدى "دي سوسيور" كانت جدّ سطحية وذلك راجع إلى سبب هيمنة التفكير التاريخي على العقول آنذاك (كتابات أنطوان مايبه و أتو يسبرسن (1860-1943)...

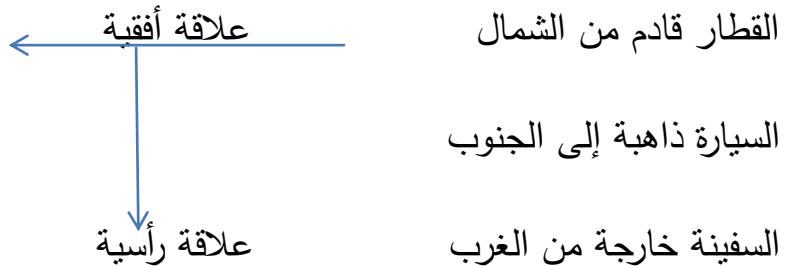
(2) كان لقدّر آراء "دي سوسيور" أن تتال حظّ واهتمام وتقطّن عالمين روسيين لقيمتها في ترقية العلوم الإنسانية ألا وهما "رومان جاكسون" (1896-1982) و "نيكولاي تروبتسكوي" (1890-1938) وذلك بعد أن اطلّعا على أفكار "فاردينان دي سوسيور" بفضل تلميذه "كارفسكي" الذي سافر سنة 1917 إلى روسيا معلنا عن هذه الآراء والأفكار أمام أعضاء المؤتمر الدولي للسانيات في لاهاي عام 1920.

ونظرا لأهميتها، منذ ذلك الحين، توالى ترجمات تلك المحاضرات إلى لغات شتى في العالم ك: اليابانية عام 1928 والألمانية عام 1931 والروسية سنة 1933 والإسبانية سنة 1945 والإنجليزية عام 1959 والإيطالية عام 1967 والعربية سنة 1985⁶⁵

وما يمكننا الإقرار به هو أنّ "فاردينان دي سوسيور" اهتم بالوحدة اللغوية وعلاقتها بالوحدات الأخرى في النظام حيث تظهر قيمتها بعلاقتها بالعناصر الأخرى⁶⁶ مشبها اللغة بلعبة الشطرنج أين تستمدّ كلّ قطعة قيمتها من خلال الموقع الذي تشغله على رقعة (الشطرنج) فالعلاقة بين قطع الشطرنج هي العلاقة نفسها التي تقوم عليها اللغات الإنسانية من حيث علاقة عناصرها الداخلية بعضها ببعض داخل النظام اللغوي⁶⁷ كما اهتم بدراسة

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنوية"

اللغة دراسة وصفية آنية synchronique ودراسة تعاقبية تاريخية diachronique واللغة في نظره طبقا لمعيار الزمان لا بد أن تدرس من ناحيتين: أولاهما آنية وصفية وثانيهما تعاقبية تاريخية. فكأنه يرمي إلى القول أن الدراسة الوصفية أسبق من الدراسة التاريخية بيد أن المنطق يأخذ بالعكس، فالدراسة التاريخية تكون دائما في كنف الوصفية باعتبار أن النظام اللغوي الكامل لا بد أن يكون تاريخيا والدراسة الوصفية هي الطريق إلى الدراسة التاريخية⁶⁸ وبما أن اللغة نظام من الوحدات اللغوية-تعرف كل واحدة منها بالوحدات التي تشترك معها في السياق- فإن عناصر الجملة تنتظم فيما بينها على شكل خطي أفقي متدرج زمنيا أين يمثل هذا النوع من العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية المتتابعة علاقة حضور متناسق ضمن السلسلة الكلامية الواحدة كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجملة النص الواحد، فتضفي كل واحدة على الكل معنى إضافيا وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معها جميعا⁶⁹ ومثال ذلك جملة (الجو ممطر) والتي تتألف من وحدتين لغويتين تأتي الثانية فيهما (مطر) عقب الأولى (الجو) وقد نلّمح إلى هذه الجملة من خلال صورة أكثر تجريدا قائلين إنها مركّب متألف من (اسم مرفوع)+(وصف مرفوع) إلا أن هنالك علاقة أخرى بينهما وهي علاقة رأسية، ما يطلق عليها بالعلاقات الترابطية الاستبدالية والتي تظهر على محور التصريف العمودي بما يطرأ عليه من عمليات استبدال بين الوحدات اللغوية في مختلف مواضعها على مستوى هذا المحور ونقصد بها تلك الوحدات التي يمكننا أن نستحضرها في الذهن وأن تحل محلها على سلسلة الكلام ويوضّح قولنا هذا المثال⁷⁰:



محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

وبذلك، فإنّ العلاقة الرأسية تتيح لنا فرصة زيادة كلمات لا حصر لها مشابهة للكلمة السابقة في حين أنّ العلاقة الأفقية محدودة وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ "فاردينان دي سوسيور" درس اللغة دراسة وصفية Descriptive على أساس الملاحظة المباشرة للظواهر الطبيعية المدروسة في فترة زمنية محدّدة في مكان محدّد ولهذا وضّح ذلك التقابل الكائن بين المحورين:

(الأفقي: محور الدراسة الوصفية الآنية / العمودي: محور الدراسة التاريخية التعاقبية) مبرزا أنّ الجانب الوصفي يخصّ تلك الوجهة الثانية للعلم في حين أنّ الجانب التاريخي هو ما يخصّ كلّ ماله علاقة بالتصور.

"فالوصفية في نظره تشير إلى اللغة في حالة ثبات والتاريخية تشير إلى اللغة في حالة تطور"⁷¹ كما أنّ الدراسة الوصفية هي الطريق إلى الدراسة التاريخية⁷²

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

المحاضرة الثامنة: فاردينان دي سوسيور والبنيوية

إنّ الدراسات التي قدّمها "فاردينان دي سوسيور" ما بين 1906 و 1911 لمن أهمّ الدراسات في اللسانيات البنيوية، فقد كان أول من دعا إلى دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها دراسة وصفية آنية للبحث في نظامها و قوانينها دون الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية الزمانية.

فاللّغة ليست مجرد آلة مادّية صوتية بل إنّها نظام لغوي مشترك بين الجماعات اللغوية التي تنتمي لرقع جغرافية متشابهة قصد تحقيق عملية التواصل.

ومن أهمّ ما أدرج ضمن التنظير السوسيور في ظلّ الدراسات اللسانية، نذكر نظرية الثنائيات حيث أنّ كلّ التحليلات اللغوية السوسيورية كانت تحليلات ثنائية الفروع منها اللّغة والكلام، الآنية و الزمانية، المحور الاستبدالي والمحور التركيبي، الدال والمدلول، القيمة والنظام وغدت الثنائية اللغوية أساسا لسانيا في السيميائيات حيث نجد "لويس هلمسلف" يستخدم مصطلحات مقابلة، مصطلح "التعبي" عوض "الدال" ومصطلح "المحتوى" عوض "المدلول" ممثلا العلاقة الجدلية بينهما بعلاقة المادّة بالشكل.

وبتعبير آخر، فإنّ التعبير يمثّل الجانب المادي في عملية النطق أمّا المحتوى أو المضمون فهو المعنى⁷³ فعلى غرار "فاردينان دي سوسيور" الذي يطلق على الرّابط الجامع بين الدال والمدلول بالعلاقة الاعتبارية حيث لا تتقيّد هذه الأخيرة كمبدأ لساني فحسب وإنّما صارت أيضا مبدأ لسانيا منظّما للأنساق السيميائية وبما أنّ اللسان قائم على الاعتبارية في جوهره أصبح نموذج موضوع السيمياء⁷⁴ ومن بين أهمّ المبادئ التي ساهمت في نشأة الاتجاه البنيوي أن:

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 1 - ميمّر فاردينان دي سوسيور " بين الدراسة الوصفية للغة في بعدها الداخلي وبين الدراسة التاريخية ذلك أنّ الوصف اللغوي وتعميم المعطيات اللغوية لا يصبح ممكنا إلاّ حين فصل بين الحالة الآنية للغة وبين نشوء اللغة وتطورها وتحولاتها... " ⁷⁵ ويتألف النظام اللغوي من عناصر داخلية و علاقات خارجية وهذه العناصر الداخلية لها الصدارة عند التحليل اللغوي إذ تمثّل نظام اللغة الداخلي (البنيوية) أمّا العلاقات الخارجية فتتمثّل في دراسة العلاقات القائمة بين البنية اللغوية وما يؤثر فيها مثل علم الاجتماع والتاريخ والحضارة وعلم النفس وغيرها .
- 2 - اللغة في نظره نظام من الإشارات فاللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم قصد التبليغ والتخاطب والتواصل "فلكلّ واحدة منها لفظ إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز عن غيره ويغني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخفّ وأسهل من تكلف إحضاره" ⁷⁶ واللغة على حسب رأيه نظام يتألف من مجموعة من العلامات اللغوية وهي عبارة صوتية (الدال) تتحد مع تصوّر ذهني (المدلول) ليندرج الدال تحت النظام المادي للغة كونه عبارة عن أصوات إنسانية إرادية بينما يندرج المدلول تحت النظام الذهني وتكون العلاقة بين الدال والمدلول علاقة عرفية تتحقّق من خلال هذين العنصرين أي الصوت والمعنى بحيث لا يحتوي الدال على أية قيمة أو صورة لحقيقة المدلول .
- 3 - الدليل اللغوي "كيان نفسي ذو وجهين" ⁷⁷ ألا وهما الدال والمدلول فهذا الأخير لا يصل بين المدلول عليه والمفهوم بل إنّهُ يربط بين الصورة الذهنية للشيء المادي (المرجع) وما يقابلها من أصوات وبذلك يمثل الدال مجموعة من الأصوات القابلة للقطيع (أي الصورة الصوتية) والمدلول ذلك المفهوم أو المعنى الذي يشير للدال "فالدليل اللساني ليس وحدة حرة" ⁷⁸ بل هو الذي يقرن الدال بالمدلول بكيفية اعتبارية

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

لا تتدخل فيها الإرادة الجماعية للأفراد بل إنّ المقصود بالاعتباطية هو عدم خضوع علاقة الارتباط بين الدال والمدلول إلى التعليل والتبرير العقليين.

فلا يكون الدال دالاً حتى يكون له مدلول ولا يتسنّى الكلام على المدلول حتى يكون له دال وبذلك، لا الدال سابق المدلول ولا المدلول سابق الدال فكلّ قد أوجده الوضع والاصطلاح في لحظة زمنية واحدة.

و بالتالي، فإنّ كمال الاتصال بين الدال والمدلول وعملية اقتضاء أحدهما الآخر هو ما يرسم مصداقية الدلالة التي توطن تلك العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول داخل العلامة اللسانية. وبذلك، تكون العلاقة بين الدال والمدلول علاقة رمزية، ومن ثمّ فإنّ اللسانيات أو علم اللغة هو جزء من نظام أوسع وأشمل أو بعبارة أخرى هو جزء من علم الرموز الذي تتبأ بظهوره "فاردينان دي سوسيور" وقد صدقت نبوءته وأصبح علم اللغة الآن جزءاً من نظام أوسع هو علم الرموز وذلك منذ عدّة عقود .

4 فرّق "دي سوسيور" بين اللغة والكلام ذلك أنّ اللغة عمل جماعي مستقل عن الفرد متواجد في ذهن المتكلمين بكيفية اعتباطية لا شعورية في حين أنّ الكلام هو ذلك الأداء الفردي للغة والذي يتحقّق من خلال هذا النظام .

"اللغة" إنّها مجموع الأصوات والدلالات المخترنة في ذاكرتهم أمّا الكلام فهو الممارسة الفردية الذاتية لهذه اللغة في ظروف مادية، أي أنه بمثابة "طريقة تجسيد المتكلمين لهذا النظام اللغوي" ⁷⁹ وبالتالي، فإنّ اللسان نظام "ترتبط فيه جميع أجزائها بعضها ببعض" ⁸⁰ ذلك لأنّ الوحدات اللسانية لا تكتسب قيمتها إلاّ إذا اكتسبت كلّ لفظة مجموعة من الصفات تقابل بها كلّ واحدة من الألفاظ الأخرى ⁸¹ وحين ميّز "فاردينان دي سوسيور" بين اللغة والكلام، ركّز اهتمامه على اللسان معترفاً أنّ اللسان شكل لا مادّة ولا بدّ من ضرورة تصوّر اللسان ووصفه على أنّه نظام من العناصر التي ترتبط فيما بينها على المستويات اللغوية التالية: الدلالية والنحوية والصوتية ⁸²

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

" فالفكر البنيوي يرى اللغة بنية منظّمة متكاملة فيعنى بتصنيف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإضافية من حيث الفصل والوصل مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة وما يترتّب على ذلك من فكرة المعاقبة في الموقع ثمّ الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام⁸³

5 للدراسة اللغوية أو التحليل اللغوي هو النظر في علاقة كلّ عنصر من العناصر اللغوية الداخلية بغيره من العناصر الأخرى التي تكون النظام اللغوي لأنّ أيّ عنصر لا قيمة له دون علاقته بالعناصر الأخرى وبذلك، فإنّ النظام اللغوي لأية لغة يقوم على التشابه من ناحية وعلى الاختلاف من ناحية أخرى .

ولكي يوضح "دو سوسيور" فكرة العناصر الداخلية وعلاقتها ببعضها من ناحية ثمّ علاقتها الخارجية من ناحية أخرى، يضرب لنا مثل لعبة الشطرنج فهذه اللعبة قد انتقلت من الشرق إلى الغرب وهذا أمر خارجي لا يمس نظام اللعبة الداخلي ولا قواعدها ولكن، إذا استبدلنا مثلا القطع الخشبية بقطع من العاج أو الذهب فإنّ هذا التغيير لا يمسّ النظام الداخلي للعبة في شيء ولكن إذا أنقصنا أو زدنا في عدد القطع أو لعبت هذه اللعبة بطريقة تخالف القوانين والقواعد التي وضعت عليها فإنّ هذا التغيير والتغير سيخلّ حتما بنظام اللعبة وقواعدها .

وفي الحديث عن قيمة العلاقة بين العناصر اللغوية فإنّها تشبه إلى حدّ بعيد قيمة قطع "الشطرنج" أين تستمدّ كلّ قطعة قيمتها من الموقع الذي تحتلّه على رقعة الشطرنج وذلك في مقابل المواقع التي تحتلها القطع الأخرى، فإذا أخذنا أي عنصر سيكون في حدّ ذاته عنصرا من عناصر اللعبة لا من أجل المادة التي صنع منها (لأنّه خارج الموقع أو المربع الذي يحتلّه في الرقعة لا قيمة له طبقا لنظام اللعبة) وإنّما يستمدّ قيمته من الموقع الذي يشغله ومن علاقته بالقطع الأخرى من الموقع الذي يشغله ومن علاقته بالقطع الأخرى ومن نظام اللعبة لأنه باستطاعتنا استبداله

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

إذا ما فقد أو تحطّم بأي شيء آخر شريطة أن نعطي لهذا العنصر قيمته داخل اللعبة .

وبذلك، فإنّ اللسان يمكنه تأدية وظيفة التبليغ والتخاطب بفضل نظامه الداخلي وأما هدف اللساني، فيكمن في استخراج البنية التي تقوم عليها كافة الألسنة البشرية على اختلاف رقعها الجغرافية ومن هنا سيطر هذا المفهوم في الحقل اللساني إذ غدا منهاجا علميا تعتمد عليه العلوم الاجتماعية، الإنسانية والنفسية في تحليلاتها⁸⁴

وبما أنّ اللسانيات على حدّ رأي دي سوسيور جزء من علم جديد وظيفته دراسة العلامات في حضان المجتمع، فإنّ الأخذ بمفاهيم الدال والمدلول كوجهين للعلامة اللسانية شكّل في حدّ ذاته فرقا بينا بين المقاربة اللسانية الجديدة والتقاليد اللغوية القديمة القائمة أساسا على الفلسفة والمنطق. ولهذا، غدا الاهتمام باللسانيات عموما وبال دلالة خصوصا حدّا فاصلا لتحديد جوهر العلامة داخل النسق اللساني المتواجدة فيه.

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

المحاضرة التاسعة: أهم مبادئ المنهج البنيوي

حقيقة أنّ فاردينان دي سوسيور يعدّ مؤسس البنيوية اللغوية على الرغم ممّا وجّه إليه من نقد إلا أنّ تيار البنيوية اللغوية في الولايات المتحدة الأمريكية تمثّل في زعامة ليونارد بلومفيلد في الفترة الزمنية الممتدة ما بين 1930 و 1950 وتميّز المنهج البنيوي السائد آنئذ بالنزعة التوزيعية (نزعة تعمل على توزيع الوحدة التركيبية إلى أجزائها ومكوناتها الصغرى)

عرّف بلومفيلد اللّغة على أنّها سلوك بشري يشبه سائر أنماط السلوك الإنساني داعياً إلى دراسة اللّغة دراسة وصفية خالصة معارضا في ذلك أصحاب الاتجاه الذهني الذين اعتمدوا على التحليل العقلي و المبني على تصورات ذهنية مبالغين في اعتمادهم على الرأي والإرادة متأثراً في ذلك بالمدرسة السلوكية في علم النفس معتبراً أنّ السلوك اللّغوي برمته استجابة لمثير (أي أنّ المثير يؤدي بالضرورة إلى حدوث استجابة عند المتلقي)

م (مثير) ← س (استجابة)

وكلمًا كان المثير (stimulus) قويًا، كان أساس كلّ استجابة (response) تأتي فيما بعد، وقد يمكن للاستجابة في حدّ ذاتها أن تتحوّل إلى مثير على حسب رأيه.

(س-استجابة- ← م-مثير-)

وبهذا، يشكّل ارتباط المثير والاستجابة دليلاً على مدى مكنة وقدرة أهل اللّغة على التعامل والتصرف بلغتهم بمقتضى نظامها التركيبي الدلالي التداولي.

من هذا المنطلق، يرى ليونارد بلومفيلد "أنّ تفاعل المثير و الاستجابة نمط من السلوك الاجتماعي الذي لا يعني العالم اللّغوي في كثير أو قليل ولما كان للمثير والاستجابة والتفاعل بينهما معاني اجتماعية ونفسية، كان الاهتمام بالمعنى غير ذي أهمية في نظر ليونارد بلومفيلد⁸⁵

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنوية"

وفي كتابه « Language » يستمر بلومفيلد بطرح مشكل المعنى و على وجه الخصوص في الفصل المخصص بالدلالة و المعنون بالمعنى:

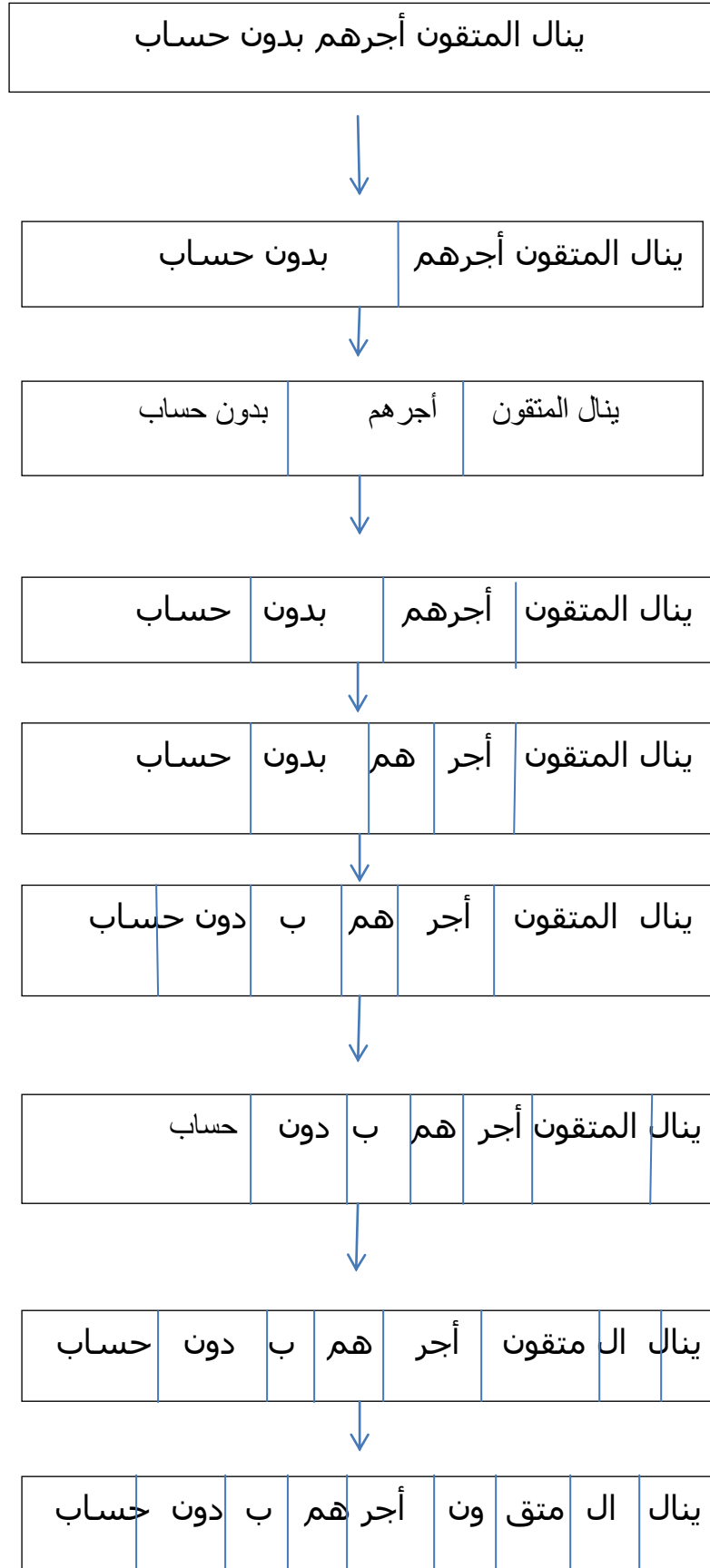
« La Signification » حيث يقدم له تعريفا من خلال صياغتين إحداهما إيجابية مستوحاة من السلوكية والأخرى سلبية يلجأ إليها لمهاجمة التصور الذهني و كذا دعم التصور الآلي والفيزيائي للمعنى. ولعلّ هاتين الصياغتين جدّ مهمتين كونهما تفسران بوضوح جلي الأفكار المؤسسة للسانيات البلومفيلدية.⁸⁶ ولعلّ هذا ما أدّى إلى إهماله وعدم اهتمامه بالمعنى/الدلالة وإخراجها عن نطاق اللغة "ولو تأمل بلومفيلد في حقيقة كلّ استجابة لوجد المضامين الدلالية الاجتماعية للغة هي العمود الفقري للغة"⁸⁷

و من هذا المنطلق، يمكن القول أنّ ليونارد بلومفيلد كان أليا يتبنى نظرية سلوكية إذ كان ضدّ الذهنية معتبرا أنّه بالإمكان مقارنة الكلام من الخارج بوصفه سلوكا وليس من الداخل تعبيرا عن واقعات نفسية و ذهنية.

وفي إطار الاهتمام باللّغة، اهتمّ ليونارد بلومفيلد بدراسة اللّغة كونها سلسلة مكونة من وحدات متّصلة بعضها ببعض ويكون هذا الاتّصال قائما على أساس أنّ بعض هذه الوحدات يحتوي بعضها الآخر - هذا ما يندرج تحت "تحليل المكونات المتعاقبة" Immediate Constituent Analysis ما يمثّل نوعا من التحليل الذي يعمل على تقسيم الجملة إلى مكوناتها الصغرى قصد الولوج إلى:

- 1 - معرفة كيفية بناء الجملة أو التركيب من الوحدات الصغرى المكونة لها.
- 2 - معرفة علاقات الاحتواء والتضمن التي يجري على أساسها توزيع الجملة إلى حقول بعضها أكبر من بعض (وهذا ما يكشف عن العلاقات التركيبية بين أجزاء الجملة) ومثالنا في ذلك:

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"



محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

ويقوم هذا التحليل على تقسيم الجملة إلى أجزاء أصغر منها وتقسيم هذه الأجزاء بدورها إلى مكوناتها الدنيا.

ويمكننا أن نحصر المبادئ الأساسية التي تقوم عليها بنيوية ليونارد بلومفيلد ومن سار على دربه فيما يلي: 88

1 تعتمد البنيوية بشكل أساسي على دراسة النصوص اللغوية بغض النظر عن القدرات الذهنية لدى الناطقين باللغة-أية لغة-ودراسة النصوص هو ما يفسر ذلك الانسجام الكائن بين البنيوية والنقد حتى غدت البنيوية توجهها نقديا خالصا في عملية التعامل مع النصوص ودراستها بل وأصبح أكثر النقاد بنيويين في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين.

و طبقت مبادئ النظر البنيوي على الأعمال الأدبية في الآداب المختلفة ومنها الأدب العربي في مختلف عصوره وقد درس عدد من النقاد العرب المعاصرين الشعر الحديث والشعر الجاهلي على أساس النظر البنيوي في النقد.

2 يعمد البنيويون إلى مبدأ استكشاف الظاهرة البنائية في اللغة.وهنا ينبغي أن نفرق بين البنيوية باعتبارها مدرسة في النظر والتحليل والبنائية باعتبارها الخريطة اللغوية التي يكون عليها النص أو الكلام وتعمل البنيوية على استجلاء حقيقة هذه الخريطة وصورتها.ولا يؤمن البنيويون بوجود الحدس intuition الذي يعمل بمقتضى تصوّرات ذهنية مسبقة على حقيقة النظام اللغوي ويؤمن البنيويون بدلا من ذلك بوجود وسائل استكشاف متغيرة من شخص إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى ومن عصر إلى عصر آخر.

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنوية"

3 اتفق البنويون على تصنيف عناصر اللّغة ومكوّناتها ابتداء من الصوت وانتهاء بالتركيب وما على هذا المبدأ من سبيل إنّما السبيل على البنويين الذين يجعلون هذا التصنيف عملاً مادّيًا خالصاً دون اعتبار للآلية الذهنية التي تحكم هذه العناصر بل تحكم عملية التصنيف نفسها وهم بالإضافة إلى ذلك لا يجعلون المعنى من عناصر اللّغة كما عرفنا من قبل.

4 يرى البنويون أنّ لكلّ لغة أبنيتها التي تنفرد بها وأنّ الجامع بين اللغات الإنسانية بعامة أمر غير وارد أي أنّ دراسة اللّغة باعتبارها ظاهرة إنسانية ليس من الدرس اللغوي في شيء. لقد كان الدرس الأنثروبولوجي الذي انطلقوا منه كفيلاً بأن يدلّهم على عالمية التصور الذهني للّغة وإنسانية النظام اللغوي بغضّ النظر عن مدى تباين آلياته. ولكنهم بدلاً من ذلك فرضوا على الظاهرة اللغوية تصورهم السلوكي الآلي فضيّعوا بذلك فرصاً ذهبية في استجلاء حقيقة العالمية اللغوية وضيّقوا النظر في اللغة لتكون مجرد استجابة لمثير.

5 اعتمد البنويون في البداية على الطريقة الجزئية في تدريس اللغة وهي الطريقة التي تنطلق من الصوت والحرف إلى الكلمة انتقالاتاً إلى الجملة ممّا كان لهذه الطريقة أضرار كبيرة في عملية تدريس اللغات ثم اعتمد القوم -بعد ذلك- على طريقة الجملة دون التركيز على أنظمة التراكيب والجمل وكانت النتيجة أسوأ ممّا رأيناها في تدريس اللّغة بالطريقة الجزئية.

محاضرات على الخط: "اللسانيات النبوية"

المحاضرة العاشرة: أهم طرائق التحليل في المنهج النبوي

وفي سياق الحديث عن خطوات التحليل التي اعتمدها البنيويون في منهجهم، فقد أجمعوا على استخراج الوحدات اللغوية التي يتم إدراجها في نظام تقابلي يقوم على تقطيع الكلام إلى أدنى القطع الصوتية في الفونولوجيا حيث تنتهي بالحكم على القطعة فيما إذا كانت تدخل ضمن نظام معين أو أنها وجه من أوجه الأداء اللغوي. وهذا النوع من التحليل معتمد كذلك بالنسبة للدوال حيث " يقطعون الكلام إلى أصغر أجزائه ما يدلّ على معنى ثمّ تصنف الدوال إلى أصناف ..."⁸⁹ أين يقوم الباحث بوصف العناصر الصوتية محاولاً أن يصل إلى تكوين الوحدات المورفولوجية لتكوّن بدورها العبارات أو الجمل وتوضّح تلك العلاقة الموجودة بين المعنى والمبنى .

وقد أقرّ عبد الرحمن الحاج صالح أنّ البنيوية نزعت في منهجها منزع الفلسفة الأرسطو طالسية حين قال: "هو مبدأ الهوية الذي يكتفي أساساً بتشخيص العناصر والوحدات بانياً كلّ ذلك على مبدأ التقابل بين العناصر الصوتية وهو أساس النظرة التشخيصية التي ينظر أصحابها دائماً إلى الأشياء كأشياء وكذوات ولو كانت أحداثاً وهي نظرة تأملية محضة " ⁹⁰ وعليه، فإنّ "الفكر البنيوي الذي يرى اللغة بنية منظمة متكاملة فيعنى بتصريف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإسنادية والإضافية من حيث الفصل والوصل مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة وما يترتب عن ذلك من فكرة المعاقبة في الموقع ثمّ الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام"⁹¹

ويبدأ التحليل البنيوي من المستوى الصوتي ثمّ يتبع بمسائل الصرف فالنحو ومسائله موظّفا الأصوات في خدمة الصرف "وقد أولى البنيويون اهتماماتهم بالفونولوجيا أولاً وبالـمورفولوجيا ثانياً ولكنهم لم يهتموا بالتركيب إلا قليلاً وتجاهلوا الدلالة تجاهلاً تاماً لأنّ المعاني في رأيهم غير خاضعة للمشاهدة وبالتالي، لا يمكن دراستها دراسة علمية"⁹²

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

وقد اتّبع لغويون آخرون هذه الطريقة في تحليلهم نذكر منهم "فرانز بوعز" الذي وقع تركيزه على الوصف المفصل للنظامين الصوتي والصرفي والذي قام بوصف النظام الصرفي أولاً على مستوى الكلمة وبعدها على مستوى العبارة⁹³

لا يمكننا أن ننكر مدى تأثير دي سوسيور في علم اللغة الوصفي في اعتماده على البنية اللغوية في دراساته أين أسّست السلوكية أسسها على النظام والبنية وبما أنّ اللغة في نظر بلومفيلد نظام من بين أنظمة فرعية، فقد نظرت المدرسة السلوكية إلى الجملة باعتبارها مؤلفة من مكونات الجملة بعضها أكبر من بعض إلى أن يتمّ تحليلها إلى عناصرها الأولية من الكلمات حتى المورفيمات فهي تنظر إلى الجملة على أنها سلسلة متتابعة من العناصر أو على أنّها طبقات من المكونات يتراكم بعضها فوق بعض⁹⁴

وبذلك اختلفت وتعدّدت طرائق التحليل في المنهج البنيوي كالاتي:

1 طريقة الخط المائل⁹⁵ (دون أخذ المعنى بعين الاعتبار)

الفعل اللازم / فاعل / شبه الجملة

ذهب / الرجل / إلى السوق

سعى / الرجل / إلى هلاكه (الرجل هو الذي يقع عليه الهلاك)

فعل متعدّد / فاعل / مفعول به

فتح / الرجل / الباب (الرجل هو الفاعل)

فتحت / الريح / الباب (الريح هو السبب في انفتاح الباب)

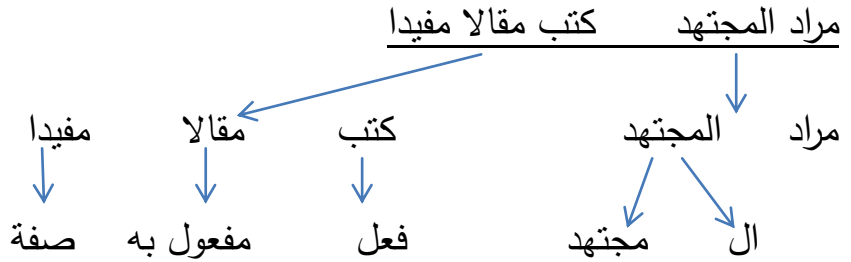
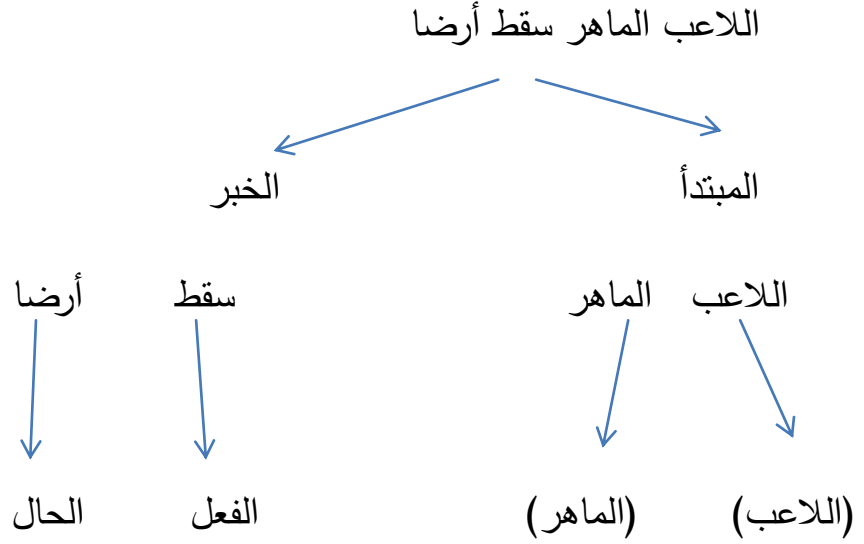
فتح / المفتاح / الباب (المفتاح هي الأداة التي فتحت الباب)

محاضرات على الخط: "اللسانيات النبوية"

2 طريقة الأقواس 96

مثالنا في ذلك الجملة التالية: ("اللاعب" "الماهر") ("سقط" "أرضاً")

3 النموذج الشجري 97



وفيما فضّل بلومفيلد تمسّكه بفكرة استقلال الجملة متقصّياً في ذلك التحرّر من معيار المعنى في دراسة الجملة، نظرت البنيوية في تحليلها للجملة كونها بناء متدرجا من طبقات عمودية لا باعتبارها خطأ أفقياً من الكلمات معتمدين في ذلك تقسيمات ثنائية وصولاً إلى أصغر طبقة حيث لا يمكن تقسيمها إلى وحدات أصغر (مورفييمات) ونلاحظ أنّ "هاريس" قد عكس هذا الاتجاه في تحليله للجملة أين انطلق من المورفييمات ليصل إلى الجملة كما انطلق تشومسكي من أفكار المدرسة السلوكية لبلومفيلد حيث توصل إلى أنّ بلومفيلد تعامل مع

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

الإنسان كأنه آلة أو حيوان قائلاً "إنّ الحدث اللغوي ما هو إلاّ استجابة لمثير" ⁹⁸ مكتفياً بذلك التحليل اللغوي الآلي مغفلاً قوى أعمق من ذلك وأبعد أثراً من وراء إنتاج الحدث اللغوي الذي يتمثل في العقل من جهة والقدرة الإبداعية للغة الإنسانية من جهة أخرى .

وما يمكن قوله في الأخير هو أنّ البنيوية تعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغضّ النظر عن السياق الذي أنتج فيه أي أنّها تهتمّ ... بكيفية تصنيف الوحدات اللسانية في الجملة على أساس وظيفتها الشكلية ⁹⁹

ولبّ القول أنّ اللسانيات البنيوية كانت تبحث في دراسات اللغوية عن العامّ بدل الخاصّ أي عن ما هو عام ومشارك بين جميع اللغات ولعلّ هذا ما أبعد ذلك المنهج البنيوي في كلّ دراساته عن الاستعانة بالعلوم الأخرى ولا يسعنا إلاّ أن نقول بأنّ اللسانيات الحديثة قد يكون ظهورها متزامناً مع فاردينان دي سوسيور وبالأخصّ مع مؤلّفه الشهير "دروس في اللسانيات العامة" إلاّ أنّ هذا الموقف قد يحدّد رأياً مهيمناً حول محور التخصص بل ويمنحه في الوقت ذاته تجانسا جلياً ولكن أيضاً حدوداً غالباً ما تكون رهن القيود.

ورغم كلّ ما سبق ذكره حول المنهج البنيوي الذي يرتبط بميلاد علم اللّغة الحديث مع "فاردينان دي سوسيور" من خلال مؤلّفه "دروس في اللّسانيات العامة" تبقى هذه الدروس أو بالأحرى المحاضرات تلك الأرضية والركيزة التي انطلقت منها وقامت عليها العلوم الأخرى باعتبارها أوّل من درس اللّغة في ذاتها ولذاتها ¹⁰⁰.

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

الهوامش والمراجع:

- 1 ينظر الفلسفات الكبرى، بيرد و كاسيه، منشورات عويدات-لبنان-1983، ص:94
- 2 -في القرون الوسطى، تنبّه روجيه بيكون إلى أهمية العلم الاختباري وتوجّه بعد ذلك فرنسيس بيكون إلى الطبيعة التي تفوق في نظره عقولنا في الدقة أمّا ديكرت فيرفض كل ذلك ويدعو إلى سيادة العقل.
- 3 -ينظر الفلسفة بلا مركز عند جاك دريدا، جورج زيناني- مجلة الفكر العربي المعاصر - بيروت، العدد(6-7) لسنة 1980، ص:81-82
- 4 ينظر الفلسفات الكبرى(مرجع سابق)، ص:111-113
- 5 للمرجع نفسه، ص:119-120
- 6 عن مؤيد عباس حسين-البنيوية- تودوروف- لقاء خاص بالفكر العربي المعاصر(العدد 40)ص:21
- 7 -البنيوية، مؤيد عباس حسين، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 2010، م، ص:15
- 8 الفلسفة وجذور العلم الاجتماعي، بيتر هاملتون، مجلة المنار، العدد(24-25)، ص:134
- 9 للمرجع نفسه، ص:144
- 10 - ينظر الفلسفات الكبرى(مرجع سابق)، ص:131-140
- 11 - المرجع نفسه، ص:131-145
- 12 - ينظر اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عبد الباسط عبد المعطي، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص:87
- 13 - البنيوية، مؤيد عباس حسين(مرجع سابق)ص:17

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 14 - الإبستيمولوجيا الوضعية عند أوغست كونت، محمد وقيدي، عالم الفكر، الكويت، العدد 1 لسنة 1982، ص: 206
- 15 - المرجع السابق، ص: 207
- 16 - ينظر الأنثروبولوجيا البنيوية، كلود ليفي شتراوس، ترجمة مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق، 1977، ص: 14-40
- 17 - عن البنيوية، ينظر درس الإبستيمولوجيا أو نظرية المعرفة، عبد السلام بن عبد العالي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الثانية، 1986، ص: 28-76
- 18 - تكوين العقل العلمي، غاستون باشلار، ص: 19-41 وفلسفة المعرفة عند غاستون باشلار: محمد وقيدي، ص: 5-25
- 19 - ينظر تركيب الثورات العلمية، توماس كون، ترجمة ماهر عبد القادر، محمد علي، دار النهضة-بيروت-الطبعة الأولى، 1988، ص: 17-38
- 20 - البنيوية، مؤيد عباس حسين (مرجع سابق)، ص: 19
- 21 - المرجع نفسه، ص: 21
- 22 - ينظر اللغة في الأدب الحديث، الحداثة والتجريب، جاكوب كورك، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1989، ص: 23
- 23 - المرجع نفسه، ص: 84
- 24 - عن البنيوية (مرجع سابق) أثر محاضرات دي سوسيور في الدراسات العربية الحديثة، حيدر سعيد عباس مرزة، رسالة ماجستير، مجلس كلية الآداب-جامعة بغداد-1996م
- 25 - ينظر البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكس، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص: 56

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 26 - عن البنيوية (مرجع سابق) تودوروف يراجع تودوروف، حوار أجراه هاشم صالح معه، مجلة الفكر العربي المعاصر (العدد 40) لسنة 1988، ص: 23-24
- 27 - نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الثالثة، 1988، ص: 25
- 28 - ينظر الميتافيزيقا: العلم والايديولوجيا، عبد السلام بن عبد العالي، دار الطليعة، بيروت، ص: 13 ومدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، ص: 12
- 29 - ينظر العربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989 ص: 9 ونظرية البنائية في النقد الأدبي، ص: 114-171
- 30 - اللغة المعيارية واللغة الشعرية، يان موكاروفسكي، ترجمة ألفت الروبي، مجلة فصول، القاهرة، المجلد 5، العدد 1 لسنة 1984
- 31 - المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، الزواوي بغورة، الطبعة الأولى، 2001، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر-ص: 6
- 32 - المرجع نفسه، ص: 5
- 33 - البنيوية، جان بياجي، ترجمة بشير أوبري عارف منيمنة، منشورات عويدات، بيروت، 1971، ص: 116
- 34 - البنيوية فلسفة موت الإنسان، روجيه غارودي، ترجمة جورج طرابيشي، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1985، ص: 3
- 35 - ينظر عصر البنيوية، ص: 121-142 وينظر مشكلة البنيوية، ص: 23
- 36 - آفاق الفلسفة، فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1988م، ص: 284
- 37 - المرجع نفسه، ص: 279
- 38 - ينظر نظرية في البنيوية، ناجي التكريتي، جريدة الجمهورية-12/6/1996

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 39 - موقف من البنيوية، شكري عياد، مجلة فصول، المجلد 1-العدد 2-يناير 1981، ص:188
- 40 - معرفة الآخر، عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص: 41
- 41 - مجلة المنار(العدد6)، ص:128 وينظر مجلة الفكر العربي المعاصر(العدد 6)ص:7-18
- 42 - ينظر آفاق الفلسفة(مرجع سابق)، ص:282-283
- 43 - الموقف البنيوي من الأنثروبولوجيا، مجلة الثقافة، (العدد 4)، 1981م
- 44 - مجلة الفكر العربي المعاصر(مرجع سابق)، ص:76
- 45 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- 46 - المنهج البنيوي-بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات-(مرجع سابق)ص:17
- 47 - ريمون بودون، النموذجيات والطرائق الرياضية في الاتجاهات الرئيسية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد3، مطبعة جامعة دمشق، ص: 6
- 48 - Philosophies,éditions la découverte, le Monde, Paris1984,p :49
- 49 - البنيوية، جان بياجي، ترجمة عارف منيمنة، بشير أوبري، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، 1971، ص: 8
- 50 - مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، 1982، ص:88-89
- 51 - البنيوية فلسفة موت الإنسان، (مرجع سبق ذكره)، ص:13
- 52 - البنيوية، جان بياجي (مرجع سابق)، ص:89

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 53 - ينظر البنيوية، مؤيد عباس حسين،
Henri Laborit, Structure et Biologie, p:28
- 54 - من فلسفة الوجود إلى البنيوية، ساخاروقا، ترجمة وتقديم أحمد برقواوي، دار
دمشق، 1989، ص:7
- 55 - جان ماري أوزياس، الفلسفة والتقنيات، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات،
باريس، بيروت، الطبعة الأولى، 1975م، ص:159
- 56 - من فلسفة الوجود إلى البنيوية (مرجع سابق) ص:161-162
- 57 - المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، (مرجع سابق) ص:52
- 58 - دروس في الألسنية العامة، فاردينان دي سوسيور، ترجمة محمد القرماوي،
محمد الشاوش، محمد عجيب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص:8
- 59 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- 60 - الألسنية علم اللغة الحديث-المبادئ والإعلام، ميشال زكريا، المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985م، الطبعة الثانية، ص:247
- 61 - دروس في الألسنية العامة (مرجع سبق ذكره)، ص:9
- 62 - ينظر المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة جامعة عنابة، مكتبة الآداب،
ميدان الأوبرا، القاهرة، 2003، ص:71 وينظر علم اللغة نشأته و تطوره، ص:84
- 63 - المرجع السابق، المدارس اللسانية المعاصرة، ص:72
- 64 - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة
الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980، ص:196
- 65 - ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية، عبد السلام المسدي، تونس،
1994، ص:9-31

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 66 - مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، نسيمه نابي، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011، ص: 99-100
- 67 - Ferdinand De Saussure, Cours de La Linguistique Générale, p : 1-5
- 68 - مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، ص: 100
- 69 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- 70 - سوسيور رائد علم اللغة الحديث، محمد حسين عبد العزيز، د. ط، مصر، دت، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، ص: 36
- 71 - بتصرف: المرجع السابق، ص: 34
- 72 - دراسات في اللسانيات التطبيقية، (مرجع سابق)، ص: 24
- 73 - القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 100
- 74 - المكونات السيميائية والدلالية للمعنى، يوسف الأطرش، محاضرات الملتقى الدولي الخامس للسيميائية والنص الأدبي-جامعة محمد خيضر- بسكرة، دار الهدى للنشر، عين مليلة، 2008م، ص: 95-96
- 75 - الألسنية علم اللغة الحديث، ميشال زكريا، (مرجع سابق) ص: 146
- 76 - بتصرف، ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، الجزء الأول، بيروت، ص: 11
- 77 - خولة الإبراهيمي وعبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، 1972م، المجلد 2، ص: 45
- 78 - Dominique Maiguenau pour aborder la linguistique, p : 8-9

محاضرات على الخط: اللسانيات البنوية

- وينظر الحاج صالح، مجلة اللسانيات، مجلد2، 1972، ص:46
- 79 - الألسنية، (مرجع سبق ذكره)، ص:228
- 80 - مجلة اللسانيات، عبد الرحمن الحاج صالح(مرجع سابق)، ص: 43
- 81 - بتصرف المرجع السابق، ص:44
- 82 - أهمية الربط بين التفكير الغوي عند العرب (ونظريات البحث اللغوي الحديث،حسام البهنساوي، ط 1، مصر، 1994م، 1414هـ، دار المناهل للطباعة،ص: 27
- 83 - تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، تمام حسان، مج المناهل، ط 1، المغرب، 1967، ص:114-117
- 84 - كل ما يمكن قوله هنا هو أنّ نظرية دي سوسيور البنوية لم يذع صيتها في أوروبا وأمريكا إلاّ بعد سنة 1929 بفضل تلامذته ويرجع عدم اشتهار نظريته إلى تلك التعليقات السلبية التي قدّمها بعض اللسانيين مثل ماييه وجرامون وجسبرسن ومازوزو وبلومفيلد (سنة 1924) خاصّة وأنّهم كانوا تاريخيين يتبنون المنهج الزمني في الدراسة اللغوية ويرجع الفضل في الانتباه لهذه النظرية والاهتمام بها إلى رومان جاكسون ونيكولاي تروبتسكوي (وقد تطرقنا إلى هذه النقطة فيما سبق) وكننتيجة لذلك، أعجب اللغويان الروسيان بنظرية البنوية واقتنعا بألياتها في دراسة اللسان موضوع اللسانيات بمعزل عن الأبعاد التاريخية التطورية الخارجية ومن هنا بدأ اللغويون يهتمون بأفكار فاردينان دي سوسيور فكثرت الترجمات المتعلقة بكتابه وبخاصة بعد مؤتمر لاهاي عام 1920 الذي عرضت فيه أهمّ أفكاره.
- 85 - اللسانيات-المجال، الوظيفة والمنهج، سمير شريف إستيتية، عالم الكتب الحديث، 1425هـ/2005م، الطبعة الأولى، الأردن، إريد، ص:166-167

محاضرات على الخط: اللسانيات البنيوية

- 86 - بتصريف النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية،
ترجمة محمد الراضي، ماري آن بافو جورج إليا سرفاتي، بيروت، لبنان، الطبعة
الأولى، آذار (مارس) 2012، ص: 244
- 87 - المرجع السابق، الصفحة نفسها
- 88 - المرجع السابق، ص: 172
- 89 - مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية (مرجع سابق)
ص: 82
- 90 - المدرسة الخيلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، (عبد
الرحمن الحاج صالح، مقال منشور الكويت، 1989، ص: 7)
- 91 - تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، تمام حسان، مج المناهل، الطبعة الأولى،
المغرب، 1967، ص: 114-117
- 92 - اللسانيات، النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن
عكنون، الجزائر، الطبعة الثانية، 2005، ص: 197
- 93 - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، القاهرة،
1983 مكتبة الخانجي، ص: 185
- 94 - مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية (مرجع سبق ذكره)
ص: 155
- 95 - منهج البحث اللغوي (بين التراث وعلم اللغة الحديث)، علي زوين، 1986،
دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ص: 80
- 96 - الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، ط 1، الإسكندرية،
1988، دار بور سعيد للطباعة، ص: 193
- 97 - المرجع السابق، الصفحة نفسها

محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"

- 98 - دراسات في اللسانيات التطبيقية، حلمي خليل، القاهرة، 2005، دار المعرفة
الجامعية، ص: 24
- 99 - دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، 1957، ص: 11
- 100 - مناهج البحث الغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية (مرجع سبق
ذكره)، ص: 102